

# الشخصية

في رواية وحدها شجرة الرمان  
لسنان أنطون

FEDU.SE188704

سباق الخطون

# وحنّهما شجرة الرمان



دولة

0 رواية وحدها شجرة الرمان للشاعر والروائي  
العراقي سنان انطوان ، صدرت في العام 2010  
عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في  
بيروت. تدور أحداث الرواية في المائتي وخمس  
وخمسين صفحة. مؤلفة من (55) مقطعاً.

## ملخص الرواية:

0 تدور أحداث الرواية حول شخصية جواد، الشاب المنتمي لعائلة تمتلك محلاً لغسل الأموات، توارثت المهنة أباً عن جد، فيصل الدور لجواد ليكمل ما بدأت العائلة بعد استشهاد أخيه الأكبر (أموري، طالب بكلية الطب) في نهايات الحرب العراقية الإيرانية في معارك الفاو. فتبدأ رحلة جواد المليئة بالموت والكوابيس والرعب. فيرفض قلبه وعقله العمل في المغيسل، ويريد دراسة الفن التشكيلي. ويبتعد عن تلك الأجواء لفترة بعد أن يعمل صباغاً للبيوت رغم رفض والده ونهره الدائم له، وتحريضه ودفعه على العمل في محل غسل الأموات. يموت الأب فجأة فيضطر جواد اللجوء إلى المغيسل بعد أن عجز عن تأمين معيشته.

0 استطاع الكاتب أن يصوّر العراق ومآسيه، ونجح في إحياء صور أرجعت العراقيين إلى أحداث كانت قد تلاشت في ذاكرتهم، ألا وهي الحرب العراقية الإيرانية والتي دامت ثمان سنوات، مروراً بأيام الحصار اللعين، ومن ثمّ الأحداث الأكثر دموية بعد سقوط نظام صدام حسين، ونشوء الطائفية والقتل على الهوية، فيصور لنا الكاتب بشاعة الموت الذي زحف على العراقيين، فحالات الخطف والمطالبة بالفدية وما يطلبه الخاطفون ليس لاعادة المخطوف بل لاعادة جزء منه فقط.

## مدخل:

0 ومن المعروف أنّ الشخصية في الرواية تُصنّف حسب معايير متنوعة وحسب اختلاف المدارس النقدية، فهناك الشخصية الرئيسية أو الأساسية أو المحورية أو المركزية، وهناك الشخصية الثانوية وهناك الشخصية العابرة. وهناك الشخصية النامية والشخصية الجاهزة والشخصية النمطية. وهناك شخصيات ثابتة وأخرى متحركة. وربما لا تكون الشخصية في العمل السردي كائنا بشريا، إذ يمكن أن يأخذ المكان دور البطولة وحينئذ يكون الشخصية الرئيسية أو المحورية في العمل ككلّ. والشخصية الرئيسية هي التي تقود الفعل وتدفعه إلى الأمام في الدراما والرواية أو أي أعمال أدبية أخرى.

0 وسواء كانت الشخصية حتى في تصور بعض الروائيين أو النقاد كائنا ورقيا أو بنية تخيلية، فإنها تجد مرجعها في العالم الواقعي، باعتبار أنّ الرواية تنهض من المجتمع، أي ثمة معادلا لها في الكون الواقعي.

0 إنّ الحديث عن تحديد الشخصيات وتصنيفها يقود إلى البحث عن القانون الأساسي للشخصية، أي عن نمذجة الشخصية. ويمكن اعتبار ما قدّمه لنا الناقد حسن بحراوي في كتابه (بنية الشكل الروائي) أنموذجا يُقتدى به لتصور المفاهيم الأساسية المكوّنة لمفهوم الشخصية. وقد تناول مفهومها في المرجعية الغربية قبل أن يقارب طبيعة الشخصية في الرواية المغربية، مبيّنا مختلف المشاكل المنهجية والنظرية التي يثيرها هذا المفهوم في التحليل. وقدّم تحديدات تدخل في إطار توبولوجيا الشخصية (بنيتها)، أهمّ تلك التحديدات خاصة الثبات والتغير، وتتيح لنا هاتان الخاصيتان تصنيفا أوليا للشخصيات إلى شخصيات سكونية لا تتغير طوال السرد وديناميكية تمتاز بالتحول والتطور، كما يتم النظر إلى الشخصية من حيث الدور الذي تقوم به في السرد فتكون إما شخصية رئيسية أو ثانوية.

## أولاً: الشخصية الرئيسية

0 وتعدّ شخصية (جواد) الشخصية المحورية في الرواية والسارد الوحيد لها. تبدأ الرواية بمشهد كابوسي، وتتدرّج في السرد حتى تتجمّع خيوط الأحداث في بكرة كبيرة متشابكة، (جواد) البطل الذي يعمل (مغسّلاً) في محل لتغسيل وتكفين الموتى يساعد والده الذي ورث المهنة أباً عن جد، وخلفاً لأخيه الأكبر (أمير) الذي يُقتل في معركة استعادة مدينة الفاو عام 1988 في أواخر الحرب العراقية الإيرانية، تزخر الرواية بكم هائل من الواقع المرير، رصد سافر وقاس للعراق في سنينه الأصعب.

0 إنّ جواد شخصية متألّمة تعيش حالة من البؤس والشقاء فرضتها عليه مهنة العائلة، فهو محبّ للحياة والفنّ، ولم يكن ينوي الاستمرار في عمل لا يجني منه سوى الموت والكوابيس المرعبة. إذن رحلة جواد تبدأ في البحث عن الحياة في ركام وتلال الموت، فيبحث عن الحياة ويصرّ على دراسة الفنّ رغم محاولات والده في طرد الفكرة من رأسه وتحريضه على دراسة الطبّ أو أيّ كلية أخرى يرى من منطلق فكره أنّها تنفع الناس. فترتفع شخصية جواد فوق بقية الشخصيات في الرواية، فهو يحمل صفاتاً عميقة تتمثّل في أنّه لا يحيا قدره الفردي بطريقة عفوية، بل يحياها بطريقة يريد فيها التخلّص ممّا فرض عليه بإرادته الذاتية، ويحاول الارتقاء إلى نموذج إنساني فدّ ويرفض كلّ ما تمليه عليه الظروف.



0 أراد المؤلف تمييز الشخصية وإعطائها بعدا دلاليا خاصًا، فاختر اسم (جواد) للإبن و(سليم) للأب، ليمهّد لحالة التنافس التي يبغى طرحها في أروقة الرواية، فالاسم مأخوذ عن (جواد سليم) الفنان التشكيلي المعروف، فالشخصية تتحدّد بميزاتها انطلاقًا من الاسم الذي من خلاله تتأسّس دلالاتها كذلك.

0 ومن خلال جواد سنتعرف على بقية عائلته المتألّفة من الأب (المغسلجي)، والأم ربة البيت الساذجة البسيطة، وأمير الأخ الأكبر لجواد، وشقيقته التي تزوجت من ستار البعثي سابقًا، والذي ركب الموجة الجديدة. والعم صبري الشيوعي السابق الذي هاجر العراق متوجهًا إلى لبنان، ومنها سافر إلى اليمن وعمل مدرّسًا هناك، ليستقرّ به المطاف في ألمانيا لاحقًا سياسيًا.

0 كلّ شئٍ يختفي في حياة جواد، بدءاً بحبيبته ريم ومروراً بشخصية غيداء التي يحلّ جسدها (فقط) محلّ ريم، وأموري الأخ الأكبر، وشخصية الأستاذ رائد مدرس الفنية، والأستاذ عصام الجنابي مدرس تاريخ النحت في كلية الفنون الجميلة، واختفاء حمودي الملتبس، والذي كان يساعد والد جواد في المحل. فضلا عن وفاة أبيه الذي كان يفضلّ أموري على جواد، والذي كان لوفاته الدور الأبرز في تشابك الأحداث، فلولا ذلك لكان لجواد فرصا كثيرة في التهرب من المغيسل وأجوائه، لكنّه اضطر للعمل بعد وفاة أبيه واستشهاد أخيه، وتدهور الظروف الاقتصادية في البلد بعد الحروب المتوالية عليه وفرض الحصار الاقتصادي، فلم يجد سبيلا سوى العمل في المغيسل. فتنشأ مفارقات عديدة أهمّها تلك الظروف التي تجعل من الموت وسيلة لكسب الرزق، فكلما كان الموت وفيرا تحسّنت ظروف جواد

المعشقة

٥ إنَّ للمكان المحوري (المغيسل) دور بارز في تكوين شخصية جواد. فتتأرجح شخصيته بين عالمين متناقضين، عالم الموت متمثلاً بالمحل والدكة، وعالم الحياة متمثلاً بالكلية (كلية الفنون الجميلة) والحببية ريم. ومن خلالهما وباستغلال ما حملته الحرب العراقية الإيرانية من ذاكرة تراجيدية مرعبة، يسرد لنا الكاتب حقائق ومشاهد حقيقية، ولفجائعتها المفرطة تستحيل غالباً إلى كوابيس تعزف لحنها الجنائزي المروع.

٥ فيغدو المغيسل المكان السبب، أو المرجع الخفي لكلِّ أحداث الرواية وتفرّعاتها وأحداثها الكثيرة المتشابكة، فيأخذ دور البطولة، أو يتشارك فيها - على الأقل - مع جواد، لم لا فهو المكان البؤرة الذي تتمحور حوله المواضيع والمشاكل في الرواية، لا وبل هو السبب من تحشّد الشخصيات وتقديمها وإناطة الدور لكلِّ منها. وهو النواة التي تدور حولها كلُّ الأحداث من قريب ومن بعيد. فلا يوجد حدث إلا واشتباك بخيط يوصله - في النهاية - بهذا المكان المشحون بالطاقة، ولا توجد شخصية ولا زمن محدّد إلا وكان للمغيسل ولدغة الغسل دوراً في ظهوره على هامش أحداث الرواية. فقد نبّه (فيليب هامون) إلى أنّ الشخصية ليست حصراً على شكل إنساني أو مفهوم أدبي، فالأواني في المطبخ، على سبيل المثال، قد تكون في رواية ما شخصيات.

## ثانيا: الشخصية الثانوية

0 ومن أهم الشخصيات الثانوية التي كان لحضورها دورا بارزا في إضفاء لمسات على الأحداث، هي شخصية (جمال الفرطوسي)، تلك الشخصية المركبة، فكلّ الشخصيات التي اختارها الكاتب كانت ذا بعد واحد، أي محدّدة ومستقرة عند نمط معين، فهي أمّا دينية أو علمانية أو متحرّرة أو متشدّدة، لكن هذه جاءت مرّكبة ومعقّدة، فقد كانت تبحث عن الحياة وملذّاتها، وانقلبت إلى شخصية تعمل الخير من خلال دفن الجثث مجهولة الهوية لكسب الأجر والثواب.

0 وشخصية (ريم) تعدّ فسحة ابتدعها الكاتب ليبعد القارئ عن قتامة الأجواء في الرواية، فكان لها دور كبير في إبراز الجانب المشرق في شخصية جواد، فتبيّن حبّه للفنّ أو بالأحرى للحياة، فالفنّ معادل موضوعي للحياة، وكشف الستار عن خصال جواد التي لن تظهر للعيان في أجواء الرواية المعروفة بالسوداوية. وحتى بعد رحيلها يحاول الكاتب أن يبتدع شخصية (غيداء)، والتي وإن لم تكن قد حلّت محلّ ريم، إلا أنّها صنعت فرصة يتوارى فيها الكاتب عن سرد الموت وأحواله.

0 أما شخصية (العمّ صبري) العلمانية، فيمكن عدّها شخصية موازية في سلوكها وفكرها - على الأقلّ - لشخصية البطل، فالتفكير هو واحد، والانسجام كبير بينهما. فقد كانت العائلة دينية إلى حدّ ما، لكنّ العمّ شدّ عن القاعدة بانتمائه إلى الحزب الشيوعي، وإيمانه المطلق بالحياة المتأتية من العلم والأدب والفنّ، ممّا أسّس رابطا فكريا وجوديا بينه وبين جواده، وكان الأقوى من بقية الروابط الأسرية التي تربطه بالعائلة ومعتقداتها المتوارثة.

0 أما شخصية الأب، فهي دينية، مؤمنة بعقيدها، تؤدّي عملها بأكمل وجه. واستطاع بها الكاتب أن يقول ب الرواية، ويضع خطوطها العريضة. فهي الباب الذي يدخل القارئ إلى أجواء الغسل وطريقته، وما ينضوي تحت مسماه من أسئلة شائكة تراود البطل وتقتحم مخيلته منذ نعومة أظفاره. فيؤدّي دوره ويساعد على تأزّم حال البطل، من خلال تضارب آرائهما حول الفنّ والحياة. والفارق واضح في إيمان كلّ منهما بتأدية عمل؛ يرى الأب أنّه فضيلة وتزلف من الله، في حين يرى الأبن أنّ الفنّ هو الحلّ، وبه تكتمل

الحياة بأبهى صورها

0 واختلفت ثقافة الشخصيات وتنوّعت نماذجها، فهناك الدينية والعلمانية، وهناك البسيطة (المسطحة) كشخصية الأم والمرغبة (المدوّرة) كشخصية الفرطوسي، وهناك الثابتة (تبقى على وتيرة واحدة دون أن تتطوّر من الناحية الفكرية والثقافية) كشخصية الأب، والمتغيّرة كشخصية ستار المتحوّلة من حال إلى آخر بمجرد تغيّر الأحوال في العراق.

0 إنّ طرق التشخيص، أمّا تفسيرية أو درامية، في الأولى يقوم الراوي بوصف الشخصية، ويلصق بها الصفات التي يراها مناسبة لها، وفي الثانية يترك القارئ يكتشف ملامح الشخصية من خلال تصرفاتها وحوارها وتعاملها مع الآخرين. واعتمد أنطون على الطريقة الثانية (في أغلب شخصياته) فهي أكثر موضوعية، لأنّ القاصّ الناجح لا يتدخّل في الحكم على شخصياته بشكل مباشر، بل يتركها لتتراكم صفاتها وتبيّن هي عن أيديولوجيتها بحرية.

## المصادر:

- 1- معجم السرديات، مجموعة من المؤلفين، بإشراف: محمد القاضي، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، ط1، 2010م.
- 2- بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1990، الدار البيضاء.
- 3- معجم المصطلحات الأدبية، إعداد: إبراهيم فتحي، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس - تونس.
- 4- سميولوجية الشخصيات الروائية، فيليب هامون، تر: سعيد بنكراد، تق: عبد الفتاح كيليطو، دار الحوار.
- 5- شخصية المثقف في الرواية السورية، محمد رياض وتار، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999م.
- 6- بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ، د.بدري عثمان، ط1، دار الحدائث للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، 1986م.
- 7- شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة، د.عبد السلام محمد الشاذلي، ط1، دار الحدائث للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، 1985م.